فاجعة آسيا تكشف مجددا الطبيعة الحقيقية للعالم الحر؟

31-12-2004

الأمريكان عندهم القوة العسكرية لارتكاب المجازر وفق مقياس يفوق مقياس "ريختر" لقياس الزلازل. يبدو أن أمريكا، لا تتقن إلا هذه "الصناعة" المدمرة، ولا تفهم كثيرا في أعمال الإغاثة الإنسانية. ولكن مرة أخرى، بعد الفلوجة، أين فرق المساعدة؟ أين الصليب الأحمر؟ الهلال الأحمر؟ فرق البحث؟ إعادة البناء؟ حملات تلفازية لجمع التبرعات؟

كشفت حقائق ووقائع ما بعد الزلزال الذي ألم بجنوب وجنوب شرق آسيا ما كان معروفا للعالم منذ وقت طويل: الدول الغربية متلهفة للاستغلال باعتبارها "صاحبة الامتيازات"، لكنها "بخيلة" و"بطيئة" في تقديم يد المساعدة في أوقات الأزمة.

خلال الأيام القليلة الماضية شاهد العالم صور الخراب والكارثة التي ابتلعت عشر دول. وتابع أيضا تصريح وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية جان إغلاند، الذي اعتبر فيه أن الولايات المتحدة والدول الغربية كانت بخيلة في تمويل الإغاثة قائلا "لو ارتفعت نسبة الضرائب لكان هناك وفرة في الأموال".

ليرد بعدها وزير الخارجية كولن باول بأن الولايات المتحدة ليست "بخيلة"، وأن "الولايات المتحدة الدولة المانحة الأكبر". ولم يأبه دفاع باول المذعور عن "الهبة" الأمريكية بحقيقة أن الدولار الأمريكي الغارق أقل من مساهمة الإتحاد الأوربي التي غمرت تلك المُتَعهدة من واشنطن.

لكن الحقائق المأساوية تظل راسخة: تبرعات البلدان الغنية تنكمش بثبات منذ الستينات من القرن الماضي، وبالمقابل، فإن انتشار الصناعة الغربية في هذه الدول في تزايد مستمر، كل هذا تحت راية "العولمة".

وتمكن، مرة أخرى، أصحاب البشرة السمراء، بفعل هذه الفاجعة من رؤية الطبيعة الحقيقية للعالم الأبيض.

ردا على كارثة "تسونامي"، تعهدت الحكومة الكندية بشكل مخيب للآمال وببعث على الاستغراب بمليون دولار ترسل إلى صندوق الإغاثة، ليرتفع، في لحظة شعور بالذنب، إلى ما مجموعه أربعة مليون دولار!. لتضيف إلى هذه الإهانة العمياء إهانة "مبصرة".

وماذا عن الولايات المتحدة، حاولت أن تلتف مرة أخرى على الأمم المتحدة وأن تظهر للعالم قيادتها للجهد الإغاثي، ولكن إذا عجز بوش عن تشكيل تحالف من أجل العراق، فهل سيشكل واحدا لكارثة "تسونامي"؟!. مع العلم أن البشرية تسمع وترى حجم الكارثة التي صنعتها الولايات المتحدة في العراق. ولكن، أين الضجة الدولية على "ما صنعه الرئيس الأمريكي من كوارث في العراق؟!"

الأمريكان عندهم القوة العسكرية لارتكاب المجازر وفق مقياس يفوق مقياس "ريختر" لقياس الزلازل. يبدو أن أمريكا، لا تتقن إلا هذه "الصناعة" المدمرة، ولا تفهم كثيرا في أعمال الإغاثة الإنسانية. ولكن مرة أخرى، بعد الفلوجة، أين فرق المساعدة؟ أين الصليب الأحمر؟ الهلال الأحمر؟ فرق البحث؟ إعادة البناء؟ حملات تلفازية لجمع التبرعات؟

مثل أي "متوحش"، يشعر الساسة الأمريكان بنشوة عند تحطيم أمم ودول أخرى. ومات في أوساط كبرائها، الشعور بالعطف والإحساس بالآخرين، لذا، فهم لا يستطيعون أن يحزنوا لمصاب جنوب آسيا، ولا يمكن لبصرهم أن يمتد لرؤية مآسي الآخرين، فأبصارهم لا ترى إلا هوامش الربح.

هذا في الوقت التي تتناقل فيه الأخبار بأن القوات الأمريكية سترسل إلى تايلند، الجبهة الأخرى على الحرب على "الإرهاب"؟، إذ يبدو أن الوقت قد حان لشن حملة تطهير ضد المسلمين الثوار في جنوب البلاد؟

وتماما كما فعلت في الحالة العراقية، ستحاول الولايات المتحدة تهميش الأمم المتحدة في قضية كارثة جنوب آسيا، على الأقل على مستوى الدعاية المحلية، فإن السخرية من الجهود الإغاثية للأمم المتحدة مضمون في فوكس نيوز، سي إن إن، النيويورك تايمز، والتهم بالاحتيال وإساءة استعمال جهود الإغاثة، والعجز، جاهزة للطبع والنفخ.

وبهذا، تُحشر الأمم المتحدة إجباريا في الزاوية: يحاول الدفاع عن نفسها ضد الدعاية الأمريكيةِ، وفي نفس الوقت يُحاولُ تَنظيم وإدارة جهود الإغاثة.

لكن لماذا يُسمح في العالم للولايات المتحدة بأداء دور المسؤولية على هذه الكارثة؟

ربما لأن الولايات المتحدة، باعتبارها خبيرة في مثل هذه الكوارث، تعتقد بأنها يجب أن تكون المسئول، كما كانت من قبل المسئولة على كوارث مثل فيتنام، العراق، هايتي، أفغانستان، أمريكا اللاتينية والقائمة طويلة.